أجراه: هشام نفاع *

أ. ب. يهوشواع: عن الانتفاضة ...والصراع ... والوطن... والبيت

بجانب حضوره المكرس كأبرز الروائيين الإسرائيليين فإن أ. ب. يهوشواع يحضر بين حين وآخر كواحد من مفكري اليسار الاسرائيلي الصهيوني حيث يطرح آراءه عبر مقالات ينشرها في الصحف أو بالمشاركة في التوقيع على بيانات سياسية تتعلق بقواعد الحل للصراع الفلسطيني ـ الاسرائيلي.

وفي شهور الانتفاضة كان ليهوشواع مواقفه وتعليقاته على الأحداث. وفي مكتبه في حيفا كان لـ«قضايا اسرائيلية» مع يهوشواع هذا الحوار خلال كانون الأول الماضي حول اللحظة الساخنة.

-لقد اخترت أن أبدأ بسؤال عن الأحداث الراهنة. هذه الانتفاضة الجديدة، هل فاجأتك؟

نعم، لقد فاجأتني كثيراً، ولم أفهمها بعد. لقد فهمت أن عرفات لم يكتف بالشروط التي أعطوه اياها في كامب ديفيد، هذا مع أنه، حسب معظم الآراء، تلقى اقتراحاً لم يسبق لأحد أن طرحه في السابق. ولكن حتى لو أن عرفات لا يمكنه الموافقة على تقسيم السيادة على جبل الهيكل (الحرم القدسي الشريف)، فقد كان يجب مواصلة الطريق عبر العمل على الرأي العام الاسرائيلي. وهذا الجانب كان دوماً الجانب الضعيف لدى الفلسطينيين. فهم لم يحاولوا بالمرة التوجه إلى الرأي العام الاسرائيلي بشكل مباشر، ومحاولة تغييره بهذا الاتجاه أو ذاك. ورغم انه بعد (١٩٩٣)، نشأ انطباع بأن هناك نوعاً من الحوار مع الرأي العام لدينا، فقد شعرت أنه كان هناك ما يمكن القيام به قبل الوصول الى ما وصلنا إليه. حتى أن يهدد مثلاً (عرفات) بانتفاضة. مثلما ردد السادات (الرئيس المصري أنور السادات)، لمدة سنة أنه سيقوم بحرب.

بالامكان استدعاء صحافيين اسرائيليين إلى مؤتمر صحافي في غزة، وتنظيم جولات لشبيبة اسرائيلية واطلاعها على المستوطنات.. أي محاولة العمل على التأثير على الرأي العام الاسرائيلي. فهذا المجتمع ديمقراطي وبالامكان التأثير عليه. وحتى لو أراد التهديد، وربما يجب أن يهدد ويقول «إننا لا نستطيع احتمال هذا أو ذاك»، فرغم ذلك كان سيظل انطباع بأن هناك حواراً ما.. أما المباشرة بانتفاضة الأقصى فهذا أمر يختلف. وحتى لو أن ارئيل شارون ذهب للأقصى. فهو لم يذهب لهدم الأقصى، وهو موجود بأيدي اسرائيل منذ ٣٣ عاماً، ولم يجر المس حتى بحجر واحد فيه..

* وكاتب صحافي يقيم في حيفا

- هذا مع أنك تعرف بالطبع ما يعنيه الأقصى، وما يعنيه شارون، والجمع بينهما؟.

نعم، ولكن عرفات سبق وتحدث مع شارون، وتوصل الى اتفاق معه، لم يأت شيطان أو غول فجأة.. ولو كان كذلك فلماذا جلس عرفات معه.

- أي أنك تقول عملياً، ما يلي: الانتفاضة هي مبادرة فلسطينية، وزيارة شارون ما هي إلاّ ذريعة.

أنا متأكد أن شارون كان ذريعة.. صحيح ان هناك مشكلة بشأن الأقصى، وقد كان كثيرون في المجتمع الاسرائيلي ممن اعتقدوا انه دون التنازل عنه لن يتحقق سلام. ولكن من الواضح أن أياً من حكومات إسرائيل لم تمس بالأقصى. وبالمقابل، كانت هناك حفريات من الجهة الفلسطينية في المكان، وقلت في حينه ان هذا يمس بالفلسطينيين أنفسهم. ولكن لا بأس، ٩٠٪ من الاسرائيليين يعرفون انه ممنوع المساس بحجر في الأقصى، لئلا يقوم ضدنا كل العالم الإسلامي.

ولكن كل سائح، بما فيه اليهودي، يمكنه زيارة الأقصى. فهل لهذا السبب (زيارة شارون) كان يجب أن تقوم كل هذه الزوبعة؟ ففي النهاية لم يأخذوا الأقصى ولم يمسوا به. وباراك نفسه تحدث عن سيادة على الأرض وأخرى تحت الأرض.. حسناً، أوافق مع عرفات انه لا يمكن قبول تسوية في الأقصى، ولكن ليس هكذا.

- إذاً، كيف تفهم منطق هذه الانتفاضة، التي ترى انها مبادرة فلسطينية؟

أولاً، أؤكد ثانية انها بمبادرة فلسطينية، وهي نابعة من اليأس، هناك شعور بأن الاسرائيليين يقترحون حداً أقصى، لا يصل الحد الأدنى الفلسطيني. ولذلك فقد خاف الفلسطينيون من كامب ديفيد، وترددوا في الذهاب للقمة، لولا ضغط باراك وكلينتون.

وبالاضافة، هناك أمر يتعلق بوجود باراك، وقد خلق علاقة سلبية، وأنا لا أفهم هذا. فلو انهم (الفلسطينيون) قاموا بهذا في فترة نتنياهو، لكان بإمكانهم التوجه لليسار وتنبيهه الى ما يحدث بشأن المستوطنات وغيرها. ولكنهم يقومون بهذا أمام حكومة، لم تكن أكثر حمائمية منها من قبل. وهي فعلاً كهذه: بيلين ورامون وسريد.. هناك مفاوضات ومحادثات، وفجأة يقوم الفلسطينيون بما قاله اليمين بالضبط. فقد ادعى اليمين دوماً انهم سيعودون الى حمل الأسلحة وانتهاك كل الاتفاقيات، واستعمال القوة. وهذا خلق لنا مشكلة عميقة: باراك مهدد بالسقوط، نتنياهو قد يعود الى الحكم، والشعور العام انه لم تكن مساحة كافية حتى يتم تفسير ما حدث في كامب ديفيد للرأي العام الاسرائيلي والفلسطيني. كان يجب كشف كل ما تم اقتراحه، والقول: لا نستطيع قبول هذا. نطالب بالاعتراف بحق العودة مثلاً.. ولكن رأينا انه لا يتم أخذ الرأي العام الإسرائيلي بالاعتبار بشكل كافٍ. فلدينا أشخاص عملوا سنوات طويلة من أجل السلام. أنا أنظر إلى نفسي وأصدقائي حين دعونا لاقامة دولة فلسطينية حتى قبل أن يتحدث الفلسطينيون أنفسهم عن دولة فلسطينية.. ودعونا للتحدث مع م. ت. ف. في حين كانت المنظمة ترفض حتى الاقتراب من خيار التحدث مع اسرائيل.. نحن لم نغيّر الرأي العام، بل إن الواقع هو الذي غيره. ومع ذلك فقد ساعدنا في تحريك الواقع، و ٨٠٪ من الاسرائيليين يؤيدون اقامة دولة فلسطينية. ولذلك، وبعد أن تم انجاز كل هذا، فلا يعقل أن يتم التغاضي عنه حتى في لحظة يأس. يجب طرح الأمور وشرحها والقول: لا نستطيع. يجب أن تعطونا أكثر.

- هل تعتقد أن الحكومات الاسرائيلية، والمجتمع الاسرائيلي توجهوا ولو مرة للرأي العام الفلسطيني، هل اهتموا به، هل يهمهم، هل كانت مرة واحدة على الأقل توجهوا فيها للرأي العام الفلسطيني كصاحب وزن وحضور.

نحن في اسرائيل مجتمع حر، نقول كل ما نفكر به. وكانت هناك محاولات ولقاء مع فلسطينيين. ولا أقول إننا عرفنا ما هو الرأي العام الفلسطيني لأنه في العديد من المرات، كان الانطباع ان هذا المجتمع توتاليتاري، ويحكمه شخص واحد، ولذلك ليس هناك نفس الحوار الذي يمكنك اجراؤه في مجتمع حر. وحتى أعضاء الكنيست العرب، قال لهم مرة يوسي سريد: أنتم عادة تؤيدون عرفات بنسبة ١٠٠٪.. أيده بنسبة ٩٩٪ على الأقل! ولكنكم تتصرفون هكذا، وهكذا نفقد الثقة بكم، وتغبنون مجتمعكم. اعطوا شعوراً بالحرية.. ولكن هذا غير موجود، لا نراه، ربما أن الأمر يجري بواسطة اشارات لا نفهمها، أو عبر حوار داخلي لا نعرفه، ولكن لم يكن بالمرة أي نقد لعرفات من جهة اليسار. النقد يأتي دائماً من جهة اليمين: أوسلو غير جيّد، غير كافٍ.. والخ.

- ولكن من يوجّه هذه الانتقادات، هو اليسار الفلسطيني بالذات..

نعم، وبالاضافة الى حماس أيضاً. فمن اليمين واليسار يهاجمون عرفات ويقولون إنه يتنازل أكثر من اللازم.

- ألا يحدث هذا بالأحرى في اسرائيل أيضاً؟

ولكن لدينا، اليسار ينتقد رؤساء الحكومات من اليسار. لا أتحدث عن نتنياهو وانما عن باراك.. هناك انتقادات حادة نوجهها بشأن المستوطنات

نحن لم نغيّر الرأي العام، بل إن الواقع هو الذي غيرها. ومع ذلك فقد ساعدنا في تحريك الواقع، و ٨٠٪ من الاسرائيليين يؤيدون اقامة دولة فلسطينية. ولذلك، وبعد أن تم انجاز كل هذا، فلا يعقل أن يتم التغاضي عنه حتى في لحظة يأس. يجب طرح الأمور وشرحها والقول: لا نستطيع. يجب أن تعطونا أكثر.

وغيرها، ومفادها «أنكم لم تتنازلوا بما فيه الكفاية». حتى أن النائب يوسي كاتس من حزب «العمل» تحدث عن حق العودة. ولكن عندما تنظر للطرف الآخر، لا ترى هذا. وقد قلتها دائماً، لو ان الفلسطينيين كانوا يأخذون مجموعات شبابية اسرائيلية لاطلاعهم على المستوطنات وما تؤدي إليه، لكان بالإمكان التأثير.. لديّ شعور، انه لا يوجد فهم للمسألة الديمقراطية في اسرائيل ولحقيقة أهمية الرأي العام وتأثيره فيها.

- أنت تصف المجتمع الاسرائيلي كمجتمع ديمقراطي حر، ولكن هناك جانباً آخر، أكثر أهمية: انه المجتمع الذي يمارس السيطرة، مقابل المجتمع الفلسطيني المسيطر عليه، ان كان بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، سياسية أو اقتصادية، أو حتى التحكّم بالفضاء الفلسطيني.

بالطبع إن هناك سيطرة كهذه، قسم يريد تكريسها وقسم يريد انهاءها، ولو قسّمت المجتمع الإسرائيلي لوجدت أن هناك من يريد التخلص منها، وهناك من يريد ابقاءها لأنه يعتقد أن هذه هي الطريقة الوحيدة للعيش، والبديل هو تهديد حياته. وهناك قسم آخر يسعى للسيطرة الاقتصادية، عبر ابقاء السيطرة الفعلية. ولكن هذه السيطرة أيضاً بحاجة لكشفها وتفسيرها وشرحها. أين السيطرة وما هي؟ أهي اقليمية ترتبط بمنع التحرك ووضع الحواجز، أم انها سيطرة ذات أبعاد ومساحات اقتصادية. وباعتقادي ان معظم الجمهور في إسرائيل يؤمن أنه إذا تطور المجتمع الفلسطيني اقتصادياً، ونحن يمكننا مساعدته في هذا بثمن جناية أرباح لنا، فإن الأمر يظلّ مجدياً للفلسطينيين. وحتى لو قلت سآخذ العمال واشغلهم بأجر زهيد، فإن هذا أفضل من البطالة.. هناك اعتقاد كهذا، وهو لا يعكس موقفي. ولكن حتى من يقول: «من خلال الاستغلال نريد أن نطوّرهم» فإنه يعرف أنه يريد المجتمع الفلسطيني متطوراً ولأنه بهذا يكسب زبائن وتبادلاً اقتصادياً أفضل. أي بما معناه: نحن نتطور ونجرّهم معنا.

«وأعتقد أيضاً أنه لا يمكن التوصل لنهاية الصراع دون اخلاء معظم المستوطنات»

وهناك من يعتقد أن المجتمع الفلسطيني لا يمكنه أن يكون كالاسرائيلي، بسبب مشاكل موضوعية ولكنه ينطلق على الأقل من قاعدة التساوي.

- في وضعية كهذه تجمع حاكماً ومحكوماً، قوياً وضعيفاً، هل يمكن أن يقوم حوار حقيقي بين الشعبين؟

انظر، السؤال هو كالتالي: حين نتوصل إلى اتفاق ما، بعد نقاش طويل على أن هذا الطرف كان يريد أكثر وكذلك الطرف الثاني.. في هذه اللحظة تزول مسألة الحاكم والمحكوم. عندها يعرف الفلسطينيون أنهم يعيشون في دولة أقوى من دولتهم، مثلما تعيش المكسيك الى جانب الولايات المتحدة، التي تفوقها قوة بألف مرة.. لا بأس، هذا ليس مصيبة. وبالمقابل، يمكن القول إننا (اسرائيل) نعيش وسط عالم عربي كبير كأقلية. ولكن، في النهاية حتى عندما تزول السيطرة، فإن القوة الاسرائيلية مقابل الفلسطينية ستظل كالقوة الأميركية مقابل المكسيك. هذا هو الوضع.. والفلسطينيون قد يجدون عزاءهم في أن كل المنطقة عربية، وفي سورية وفي مصر. فمثلاً نحن لا نستطيع إعلان حرب على الفلسطينيين، لأنها ستتحول إلى حرب شاملة في المنطقة.. خذ مثلاً حزب الله، فقد حارب اسرائيل وصنع لها الموت في المنطقة التي تمكّن فيها من ذلك. وبعدها انسحبت اسرائيل. وبعد أن كانت ضعيفة أمامه لأنه حاربها حرب عصابات، صارت الآن قوية، تستطيع الرد بشكل مختلف تماماً، فمسألة القوي والضعيف تختلف في حال التوصل إلى اتفاق، وعندما يتم الاعلان عن نهاية الصراع.

- ولكن النقاش كله يدور أصلاً حول تعريف «نهاية الصراع». فالسيد باراك أراد نهاية للصراع دون الدخول في قضايا عميقة جداً. هل تخيلت مرة أنه يمكن التوصل إلى ذلك، دون الخوض في قضية اللاجئين بعمقها مثلاً؟

لقد قلت أكثر من مرة أنه لا توجد نهاية للصراع دون القدس، وأعتقد أيضاً أنه لا يمكن التوصل لنهاية الصراع دون اخلاء معظم المستوطنات، وفي حال بقيت مستوطنات يجب تعويض الفلسطينيين مقابلها، بأراضٍ بديلة. ظلّت مسألة اللاجئين، وكان من الواضح دوماً، أن ادخال اللاجئين الفلسطينيين الى إسرائيل، معناه دمار الدولة..

- لماذا بالأحرى؟

لأن دولة إسرائيل ستتحول عندها من دولة فيها ٥ ملايين يهودي مقابل مليون عربي، إلى دولة ثنائية القومية. وهي تجمع عنصرين كانا في حالة صراع لفترة طويلة، ولديهما ثقافة وقومية مختلفتان، وهذا يعني دمار الدولة.

- ولماذا يمكن أن ينجح هذا في دول أخرى، أوروبية وغيرها؟

انظر إلى تشيكوسلوفاكيا، لقد انفصل الشعبان. القضية الأساسية في عودة اللاجئين هو السؤال: لماذا يريدون العودة إلى دولة كل رموزها وثقافتها غريبة عنهم، علمها، نشيدها الوطني وغير ذلك. فبيوتهم لم تعد قائمة، وإذا كان سيعود ليبني كل شيء من جديد، فلماذا لا يبني بيته على بعد كيلومترات من مكان بيته القديم (في دولة فلسطين) فبيته القديم هُدم، وبني فوقه.. ومن غير المعقول أن يهدموا بيوت اليهود حتى يبني العرب مكان بيوتهم، وبذلك يصبح اليهود لاجئين. وإذا كان اللاجئ يريد الخروج من المخيم، وبناء بيت، وليس العيش في أزقة عرضها متران فلماذا أصرّ على العيش في غرفة واحدة في المخيم. وأصلاً، هناك أمرٌ غريب جداً. في قطاع غزة، لمدة ١٩ سنة قبل ٦٧ تركوا كل منطقة »غوش قطيف« فارغة. لم يبنوا فيها، تركوها مفتوحة حتى جاءت المستوطنات. فحتى لو كان الواحد يحلم بالعودة الى «اشدود» (اسدود) أو «اشكلون» (عسقلان)، فليبن بيته كالبشر وليحلم ببيت

لماذا يريدون العودة إلى دولة كل رموزها وثقافتها غريبة عنهم، علمها، نشيدها الوطني وغير ذلك. فبيوتهم لم تعد قائمة، وإذا كان سيعود ليبني كل شيء من جديد، فلماذا لا يبني بيته على بعد كيلومترات من مكان بيته القديم (في دولة فلسطين) فبيته القديم هُدم، وبني فوقه.. ومن غير المعقول أن يهدموا بيوت اليهود حتى يبني العرب مكان بيوتهم، وبذلك يصبح اليهود لاجئين.

حقيقي جميل مع شارع، ولكن اللاجئ عاش في فقر واذلال في المخيم ٥٠ عاماً وهو يقول: أريد العودة إلى بيتي على بعد ٤ كيلومترات من غزة إلى عسقلان، والبيت غير قائم...

- أنت تستصعب فهم هذا الأمر، ولكن هناك ما يتجاوز البيت المادي الملموس، هناك أمر أعمق من هذا بكثير؟

ولكنه الوطن. انه نفس الوطن، فلسطين بالنسبة اليه.. كل يوم ينتقل ١٠٠٠ شخص من بيت لآخر. انظر إلى الولايات المتحدة، ينتقلون من تكساس إلى كاليفورنيا وبالعكس وغيرهما.. وبما أن غزة وجنين ورام الله هي فلسطين، فلماذا لا تعود اليها. لماذا تريد العودة إلى اللّد، وكأن المشكلة هي اللّد.. رغم ان اللّد تقع في دولة إسرائيل، وهي بلاد أخرى ودولة أخرى وثقافة أخرى.. لماذا تريد اللّد وليس رام الله.

- إذاً، حاول أن تشرح للفلسطيني ما يلي: فهو يقول لك، لقد تم طردي قبل ٥٠ سنة فقط، فلماذا ممنوع أن أعود؟

أعتقد أنه لا يفهم ماذا يعني الوطن. بالنسبة إليه الوطن هو بيت. ولكن الوطن ليس بيتاً، بل انها البلاد، الإطار، الدولة. في الوطن، يبدل الأشخاص بيوتهم باستمرار. ولكن الفلسطيني يملك مفهوماً مشوّهاً للوطن، فهو الفضاء الذي يعيش فيه شعبك وحكومتك ولغتك وثقافتك، ولكن اللاجئ يلغي كل هذا ويتمسّك بالبيت.

- وإذا جاء إليك فلسطيني من عين الحلوة، وقال لك: حسناً، هذا ما تقوله عن فهمك ومفهومك للوطن، وهذا حقك. ورغم ذلك، هذا هو مفهومي للأمر، هكذا أعيه وهكذا أشعر به.

لقد كان في العالم ملايين، إن لم نقل مئات الملايين من اللاجئين. ولكن أحداً منهم لم يتصرف كما تصرف اللاجئون الفلسطينيون. وهم ليسوا أول لاجئين في العالم.. وحين يقول المستوطن ان أجدادي عاشوا في «بيت ايل» وأريد العودة، فهل تفهمه؟ أنا لا أفهمه. فحتى لو عاش أجدادك هناك يجب أن تكون في دولة اسرائيل. هذا هو وطنك، وهناك يعيش شعب آخر.. وهنا تجد نفس الفهم المشوّه. المستوطنون ليس لديهم مفهومٌ للدولة والبلاد. بل مفهوم جغرافي اقليمي. لا يعرفون انه حين تكون في مستوطنة، فلا يمكنك ان تمارس السيادة.. ولا يعرفون انهم حين يكونون في مستوطنة ،مما يعني انعدام مفهوم الدولة، فإنهم ليسوا صهيونيين، لأن الصهيونية معناها الحدود: مساحة محددة لك كدولة. ولذلك أقول إن المستوطن واللاجئ يملكان فهماً مشوّهاً للوطن.. اللاجئ يريد العودة الى دولة يشكّل فيها أقلية قومية بدرجة منخفضة، فقط من أجل هذه الزيتونة بالذات، وليس أية زيتونة أخرى.

- انظر، اللاجيء الفلسطيني يقول لك: انتم توافقون على استيعاب ثقافات أخرى، وفقط في حالة الفلسطيني ترفضون. فلماذا استوعبتم مليون روسي، بينما تقوم ضجة إذا تحدث أحدهم عن عودة مئة ألف فلسطيني؟.

الروس هم أبناء شعبنا، هذه هي دولة اليهود، وهم يهود مثلنا وهو المكان الوحيد في العالم لهذا الشعب، الدولة الفلسطينية لن تقبل سوى بعودة الفلسطينيين وليس أي أحد آخر.

- إذاً، نعود إلى مسألة أن هذه الدولة يهودية، وهذا جوهرها؟

هذه دولة القومية اليهودية، مثلما أن فرنسا هي دولة الشعب الفرنسي، وبريطانيا هي دولة الشعب البريطاني.

- ولكن دولة الشعب الفرنسي بإمكانها تحمّل العربي واليهودي من حيث التعريف، الفرنسي قد يضمهما، ولكن هل الدولة اليهودية قادرة بتعريفها أن تضمّ العربي؟

نعم، انظر، أنت عربي في إسرائيل. وأنت تعرّف نفسك، وليس أنا، كأقلية قومية. وأنت في نفس الوقت مواطن.

- فرنسا مثلاً، هي دولة فرنسية، بريطانيا دولة بريطانية، ولكن اسرائيل دولة يهودية؟

يمكنك أن تسمّيها أيضاً دولة إسرائيلية، ولكن معظم شعبها الذي جاء إليها، كان يهودياً وهنا تحول إلى إسرائيلي. الدول فيها أقليات، العرب في اسرائيل هم قومية أخرى وهم يقولون: نحن فلسطينيون في إسرائيل، صرنا مواطنين بعد أن فرضت علينا المواطنة الاسرائيلية. نحن

مواطنون متساوون ككل المواطنين، ولكننا أقلية قومية.

- هذا هو الوضع المنشود وليس الموجود طبعاً؟

كلا، لماذا.. انهم أقلية قومية ومواطنون.

سؤال : أقلية قومية نعم، ولكن ماذا بشأن درجة انتمائهم الى المضمون الاسرائيلي ولا أقول الرموز.

كل أقلية لا تشعر بدرجة انتماء واسعة إلى المضمون السائد في الدولة. اليهود في العراق أو مصر مثلاً، لم يكونوا مع فكرة الوحدة العربية. إنها لا تعنيهم.

- هل ترى أن رموز دولة اسرائيل، هي رموز علمانية، بمقدورها أن تقف في امتحان الحداثة؟

نعم، بالتأكيد.

- أليست رموزاً ذات أبعاد دينية واضحة؟

كلا.. الدول لديها أعياد ذات مضمون ديني، وأعياد قومية، بعض الدول لا تزال أعلامها تحمل رموزاً دينية، كالدنمارك والسويد.

- أريد أن أربط هذا الأمر بالرواية التي ترويها الصهيونية. وهي رواية تبدو علمانية لكنها مؤسسة على الرواية الدينية التوراتية كالعودة إلى أرض اسرائيل وما شابه؟

كلا .. كلا.. الحركة الصهيونية هي حركة قومية جاءت لتحل مشكلة اليهود المحرومين من الوطن، ولذلك، فإن المتدينين كانوا أكثر المعارضين للصهيونية ومعظم الشعب اليهودي كان ضد الصهيونية لأنه رأى فيها حركة علمانية تسعى لاقامة دولة قومية. وهرتسل كان علمانياً بشكل تام.

ادخال اللاجئين الفلسطينيين لاسرائيل معناه دمار الدولة

- تقصد أنه كان متحرراً تماماً مما يسمى «الحق التاريخي»؟

لو سألتني عن رأيي، لقلت لك إني لا أومن بالحق التاريخي. لا لليهود ولا لأي شعب آخر. فلا يمكن أن يأتي شعب ليقول كنت هنا قبل ألفي عام أو مئة عام وأريد العودة. الحق هو حق السكان. ولكن حقنا نحن في إسرائيل هو حق شعب بلا بيت في السيطرة على بيت شعب آخر. ولو أننا طردنا كل الفلسطينيين خارج اسرائيل، لكان من حقهم أن يعودوا بالقوة للسيطرة على جزء من أرض اسرائيل. وأكثر من هذا. لقد كان من حقي أخذ جزءٍ من ليبيا، أو سويسرا أو المغرب أو كندا..

- لماذا؟

لأنني كنت دون بيت، وحياتي مهددة. والجائع من حقه أن يأخذ شيئاً من الآخرين بالقوة لئلاّ يموت. واللاجئ في الشارع، الذي لا يملك بيتاً، من حقه السيطرة على غرفة في بيتي إذا كان البديل هو موته.

- قلت إنه كان لديكم الحق في أخذ جزء من سويسرا، أو جزء من فلسطين، هل هناك فرق بين الحالتين؟

لقد كان هناك رابط بيننا وبين المكان. هذه كانت أرض آبائنا..

- ومن ناحية الحق؟

جواب : لو أنه كانت محكمة دولية تابعة للأمم المتحدة واقترحت حلاً تشارك فيه عدة شعوب من أجل الشعب اليهودي لكان الوضع مختلفاً. ولكن هذا لم يكن.. وجاء قرار التقسيم الذي لم يكن بحدوده التي أقرها ليؤدي إلى خلق أي لاجئ، ولكن لو ان الفلسطينيين قبلوا قرار التقسيم، فليس فقط انه لم يكن لاجئون، بل إنه كان بإمكانهم استيعاب دولة اسرائيل داخلهم دون أي عنف. أما اليوم، فأنا أوافق على أن الشعب الفلسطيني مرّ بتجربة قاسية جداً. فلم يحدث لأي شعب أن جاءه شعب آخر وقال له : هذه الأرض لي أيضاً .. وكم بالحري مع شعب، لديه الوطن بوصفه بيتاً.. لقد استغربت قبل فترة حين عرفت من أحد الاصدقاء ان هناك فروقات لغوية بين مناطق قريبة جداً، مثل الجليل والمثلث. وهذا أثار انتباهي، وهو يثبت ان مفهوم الوطن لم يكتمل بعد، الوطن لا يعني بيتاً أو منطقة فقط، ولكن في الوعي الفلسطيني هناك شيء محليّ جداً، ويجب الخروج منه. وأعتقد أنه سيأتي يوم وتتحول فيه المنطقة إلى فضاء واحد، دون أن يتعلق كل واحد ببيته المعيّن والمحدّد..

- حتى بثمن دولة ثنائية القومية؟

الثنائية القومية عندها، ستكون أشبه بالوضع في أوروبا. الحدود ستكتسب مفهوماً آخر، الجميع يعرف أين تبدأ وتنتهي هذه الدولة، ولكن ليس أكثر.

- إذاً، يهودية الدولة ليست قيمة. ويمكنك التنازل عنها؟

اليهودية هي الاسرائيلية، قبل كل شيء هي لغة وشعب وتاريخ. هل تتنازل أنت عن فلسطينيتك، وأنا عن اسرائيليتي؟ كلاّ.

اليهودية جزء من الاسرائيلية، التي تعني اقليماً جغرافياً وثقافة وتاريخاً.. لقد عشت في القدس، وأنا ابن لعائلة تعيش في القدس منذ خمسة أجيال ولكني تركتها الى حيفا، وأشعر ان هذا المكان يلائمني أكثر. ولذلك، اقول

لقد استغربت قبل فترة حين عرفت من أحد الاصدقاء ان هناك فروقات لغوية بين مناطق قريبة جداً، مثل الجليل والمثلث. وهذا أثار انتباهي، وهو يثبت ان مفهوم الوطن لم يكتمل بعد، الوطن لا يعني بيتاً أو منطقة فقط، ولكن في الوعي الفلسطيني هناك شيء محليّ جداً، ويجب الخروج منه.

انه يجب تطوير مفهوم الوطن بحيث يتجاوز البيت.

- مع ذلك، ربما انه بسبب طبيعة الشعب اليهودي الذي لم يكن له وطن بمفهوم حديث، فأنت كجزء منه تستصعب فهم المفهوم الفلسطيني للوطن، خاصة لدى اللاجىء الفلسطيني، أنت تستصعب فهم معنى البيت كما يراه الفلسطيني.

الشعب اليهودي الذي جاء هنا، حوّل نفسه الى ضحية، وهو مذنب بحق نفسه في هذا الأمر، وأنا اتهم الشعب اليهودي باستمرار انه جعل من نفسه ضحية، فهو دوماً يتجول هنا وهناك في كل أنحاء العالم. المكان لم يكن مهماً بالنسبة لديه، وبالتالي لا يوجد لديه مفهوم للوطن. أي ان الشعب اليهودي لديه التشوّه المناقض للتشوه لدى الفلسطيني، ازاء فكرة الوطن. يتنقل دوماً من مكان لآخر. مليون روسي يتركون وطنهم ويأتون الى هنا. ونصف مليون اسرائيلي يعيشون في لوس انجلس الأميركية. اليهودي لا يوجد لديه مفهوم، ليس للبيت فحسب بل للوطن أيضاً. وهو منذ ٢٠٠٠ عام ترك وطنه طوعاً لم يطرده أحد. بل انه متهم بخروجه، تنقل وتداخل في شعوب أخرى وأحياناً ذاب فيها.

- وكيف تفسر هذا؟

الأمر نابع من التناقض العميق لدى الشعب اليهودي، وهو الترابط بين الدين والقومية، فهذا الترابط المميز يخلق مفارقة جديّة، ولذلك فإن هذا الصراع يخلق على الدوام مشكلة داخلنا. فالدين اليهودي لليهود فقط. واليهودي لا يمكنه أن يكون مسلماً أو مسيحياً، وهذا يعطينا هوية قويّة من جهة، وقد تمكّنا من الحفاظ عليها ثلاثة آلاف عام، ولكن من جهة أخرى هذا الترابط بجوهره ليس ايجابياً. والثمن الذي دفعناه هو الشتات، فمعظم اليهود ذابوا في الشعوب الأخرى. في العهد الروماني كنا خمسة ملايين، وفي القرن الثامن عشر كنا مليوناً واحداً فقط، بعد ذلك جاءت ضربة »أوشفيتس« (الكارثة).. وفي هذه البلاد، التقى شعبان الأول لديه مفهوم البيت وليس الوطن، والثاني لا يوجد لديه حتى مفهوم الوطن. ولذلك لم تكن لديه مشكلة في أن يفكّر بأنه يمكن للفلسطينيين ان ينتقلوا الى الدول العربية. وهذا لأن الشعب اليهودي لم يفهم هذه العلاقة بالوطن.. وهكذا تحول اللقاء الى لقاء تراجيدي.. ولذلك على اليهودي أن يعرف انه يجب أن يكون في المنطقة التي يتولى المسؤولية عنها، في حدوده، في سيادته. وهذا هو جوهر الهوية: شعب يعيش حسب معايير متفق عليها، ومن خلال هذا الفهم للسيادة، مهما كانت مساحة البلاد محدودة فإن المستوطنين يمسون بسيادة اسرائيل. ولذلك لا يمكننا الدفاع عن أنفسنا، ونحن لا نستطيع الدفاع عن الخضيرة لأنه لا يوجد حدّ يسمح لنا بذلك. أنا أريد حدوداً.. العالم قال لنا هذا القرن: يجب أن تكونوا طبيعيين، يجب أن يكون لديكم بيت. ونحن انتشرنا في العالم ليس لأننا أردنا أن نكون كذلك، بل لأننا خفنا أن يكون لدينا وطن، بسبب العنصرين المذكورين: الديني والقومي.. قبل فترة، قبل الانتفاضة، ما إن كان بعض الهدوء حتى احتدّ الصراع الداخلي. هذا الجدال هو الأعمق لدينا.

- والأخطر؟

نعم انه جدال خطير، لأن معناه، ان نعود للشتات، وهناك لا توجد سيطرة لليهودي، وهناك يكون اليهودي متحرراً من اليهودي.. وهذا ما يميز هوية اليهودي، انت يمكنك ان تكون فلسطينياً دون ان تكون مسلماً..

- تعرف النظرية القائلة، اصنعوا معهم سلاماً وبعدها ستشتد صراعاتهم..

ربما ينشأ تطور يؤدي الى فصل الدين عن القومية، وليس فصل الدين عن الدولة فقط

الاحتمالات كثيرة، ربما ينشأ تطور يؤدي الى فصل الدين عن القومية، وليس فصل الدين عن الدولة فقط، مثلما كان في فترة الهيكل الأول، عندما كان يهود يعبدون آلهة اخرى، كانوا يسجدون لبعل وعشتار، وهذا تخبرنا به التوراة، وما اقوله، انه يجب فهم هذا الجانب لدينا، ونحن نحاول اصلاح هذا الوضع، وبرأيي ان الصهيونية جاءت لتقوم بهذا الدور، بناء حياة يهودية في وطن، والشعب الفلسطيني ايضاً سيبني هويته، ولكن هذا ممكن في اطار دولة وليس في اطار مفهوم البيت.

- ولكن، من جهة اخرى لا تزال اسرائيل في الشرق الاوسط، مع

ان علاقتها الثقافية مربوطة بالغرب، هذا يثير اسئلة واحياناً شكوكاً لدى البعض، فما معنى ان اسرائيل هنا لكنها تختار ان تلعب كرة السلة في الدوري الاوروبي، لماذا؟

منذ بداية الصهيونية ، كانت كراهية لاوروبا مقابل تقدير للشرق وإرادة للعيش في الشرق.. وما حدث، هو ان الحرب القومية التي نشأت غيرت الأمر، ولا اقول ان اي شعب آخر، كان سيقبل بالشعب اليهودي، ولذلك فأنا افهم النضال الفلسطيني.. لقد قال الفلسطينيون نحن لا نريدهم وليذهبوا الى مكان آخر.

سؤال : ربما لأنهم رأوا في اليهود المهاجرين الى بلادهم جزءاً من الاستعمار؟

ولكننا لم نأت كجزء من اوروبا، والمهم برأيي، هو ان الهوية الشرقية يجب ان تكون مركباً في الهوية الاسرائيلية، انا اسميها هوية متوسطية تجمع مصر وشمال افريقيا وسورية واليونان وتركيا.. هذا هو الفضاء المشترك، لنا وللفلسطينيين ايضاً، وهناك اهمية كبرى في تطوير وتعزيز هذه الهوية – الهوية المتوسطية. في اسرائيل هناك مركبات غربية مرتبطة بأميركا والأمركة، ولكن حين يتحقق سلام، فإن الوضع سيختلف من حيث امكانية التحرك والدخول الى الدول في المنطقة من دولها الاخرى، عندها ستتعزز الهوية الشرقية كجزء من ذلك الوضع، كجزء من الحالة التي يمكن أن تنشأ، واعتقد ان هناك اوساطاً غربية ايضاً، داخل اسرائيل، تقتنع بتعزيز المركب الشرقي في الهوية.

- هذا مع ان اليسار، الاسرائيلي والفلسطيني ، رأى ان اسرائيل تتصرف بشكل يكشفها كأداة بيد القوى الغربية الامبريالية.

كان هذا في فترة الحرب الباردة، لا ادري ما اذا كان الاميركان يعرفون بالضبط ما يريدونه منا، لقد جسدنا مشكلة بالنسبة اليهم، لأن مصالحهم موجودة في الخليج، ولكن بعد (٦٧) خلال الحرب الباردة اقتربنا من الولايات المتحدة بسبب الموقف السوفييتي المعادي لاسرائيل ، اليوم الوضع صار يختلف ، فمصر تتلقى مساعدات اميركية جدية، مثلما نتلقى نحن.

- ولكن الفرق، ان المجتمع الاسرائيلي يؤيد بحرارة العلاقات الاسرائيلية – الاميركية بينما لا ينطبق هذا على الشعب المصري او السعودي.. بل ان الشعوب ترى في تلك العلاقات انها تصب في صالح الأنظمة.

ماذا يريدون اذن، الاتحاد السوفييتي ؟ لا يوجد اتحاد سوفييتي، انا لست مطلعاً بما فيه الكفاية على الأمر، وما اعرفه انني هنا، في الشرق الاوسط، واصلاً ارى انني اقرب الى اوروبا، مني الى اميركا، وبامكاننا بناء انفسنا حسب حاجاتنا وحاجات الشعب الفلسطيني.. والقيادة الفلسطينية اليوم، هي التي تستدعي الدور الاميركي باستمرار، ومن جهة اخرى، هناك اللوبي اليهودي الذي أعتقد ان دوره وتأثيره سيتقلصان بالاضافة الى ذلك، اعتقد ان المحيط لا يتوجه الينا كبشر، ويصورنا بشكل بشع جداً.. توجهوا الينا بدفء فنحن بحاجة الى هذا.

- أنت تعرف ما المشكلة ، فالفلسطيني لا يلتقيك مثلما نحن نجلس الآن، انه يلتقي الوحدات الخاصة وحرس الحدود والمستعربين..

ولكن يجب ان يلتقونا نحن ايضا، وهناك امور تغيرت ايضا، هناك بعض المتحدثين السياسيين الفلسطينيين الذين يعرفون كيف يتوجهون الينا، لا يتنازلون عن مواقفهم، ولكنهم يتحاورون مع المجتمع الاسرائيلي. وكما قلت، هذا المجتمع بحاجة الى هذا التوجه.

أ. ب. يهوشواع

■ ولد أ. ب. يهوشواع (الاسم الشخصي ابراهام) في القدس العام ١٩٣٦. ودرس الفلسفة والأدب في الجامعة العبرية. بدأ نشر قصصه القصيرة في الصحف الادبية والمجلات في أواسط الخمسينيات، ومنذ العام ١٩٧٦ يعمل محاضراً للأدب في جامعة حيفا.

■ صدرت مجموعته الأولى العام ١٩٦٣ بعنوان «موت العجوز» وبعده صدرت مجموعته الثانية «إزاء الغابات» التي أثارت اهتمام الأوساط الأدبية وتعتبر من أهم قصصه. روايته الأولى : «العاشق» صدرت العام ١٩٧٦، وتوالت الروايات الأخرى وهي : «طلاق متأخر» (١٩٨٢) – «مولخو» (١٩٨٦) «السيد ماني» (١٩٩٠) «العودة من الهند» (١٩٩٤) وفي العام ١٩٩٧ صدرت روايته الأخيرة «رحلة إلى نهاية الألفية».

■ بالاضافة إلى مجموعاته القصصية وروايات، فقد صدرت له مجموعتان من المقالات السياسية والثقافية، العام ١٩٨٠ بعنوان «بفضل الحالة الطبيعية». والأخير صدر العام ١٩٩٨ بعنوان «القوة الرهيبة للذئب الصغير».

■ وفي العام ١٩٩٥ حصل يهوشواع على جائزة اسرائيل في الأدب.